

72516 - تفسير قوله تعالى (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكُمْ بِبَدْنِكُمْ)

السؤال

ما المقصود بقوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكُمْ بِبَدْنِكُمْ) الآية 92 من سورة يونس ؟ .

الإجابة المفصلة

هذه الآية من سورة يونس جاءت في معرض الحديث عن موقف من مواقف الطاغية فرعون تجاه النبي الله موسى عليه السلام ومن آمن معه من بنى إسرائيل ، وذلك حين سار موسى عليه السلام بالمؤمنين في هجرتهم إلى الأرض المباركة ، فللحقة فرعون وجندوه ليりدوهم ويفتنوهم ، وفي طريق الهجرة الطويل اعترضهم البحر جميعا ، فأكرم الله نبيه موسى ومن معه من المؤمنين بأن جعل البحر لهم يابسا يمشون فوقه ، فعبروه أمام أعين أعدائهم ، وهو ينظرون !!

فما كان من عدو الله فرعون إلا أن استخفه الطغيان ، وأهوى به الطيش والحمق ، فركب البحر خلف موسى ومن معه ، ليكون هلاكه ومن معه بالغرق في نفس البحر الذي جاوزه موسى ومن معه من المؤمنين !!

فلما أحاط الموت بالطاغية من كل مكان ، وتقاذفته لحج البحر وأمواجه ، وأيقن أن الغرق مصيره لا محالة ، قال : (قَالَ آمَّنَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَّنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ، وهياهات هياهات ، قد فات وقت التوبة ، ومضى زمان الإنابة والإيمان حين حل الموت ، وذهب عن الخبيث كل قوة وحيلة !!

ولا شك أن موت هذا الطاغية المسرف في الطغيان في مثل هذا الموقف العظيم من أعظم الآيات التي تبين عاقبة العناد والظلم والاستكبار ، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت هذه الآية ويؤكدتها ، ويرفع عنها أي شك أو ليس أو إشاعات ، فقضى أن تظهر جثة فرعون هامدة باردة على الشاطئ ، يراها قومه ومن كان يعبدوه ، فيكون ذلك أبلغ في إقامة العظة والعبرة عليهم . قال الله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكُمْ بِبَدْنِكُمْ لِتَكُونُ لِمَنْ خَلْفَكُمْ آيَةً ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)

يقول ابن كثير رحمه الله : (قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بنى إسرائيل شكوا في موت فرعون ، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح ، وعليه درعه المعروفة ، على نجوة من الأرض ، وهو المكان المرتفع ، ليتحققوا موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكُمْ) أي : نرفعك على مكان بارز من الأرض ، (بِبَدْنِكُمْ) قال مجاهد : بجسده ، وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد الله بن شداد : سويا صحيحا : أي لم يتمزق ، ليتحققوا ويعرفوه ، وقال أبو صخر : بذراعك . وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم .

وقوله : " لتكون لمن خلفك آية " أي : لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك ، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده ، وأنه لا يقوم لغضبه شيء) تفسير ابن كثير (565/2) . بتصريف .

وكذلك كان ، فقد رأى بنو إسرائيل فرعون ميتارأى العين ، فكان آية لمن رآه حينها ، وكان آية لكل من سمع بقصة هلاكه ممن بعدهم !!

وليس في الآية ما يدل على أن بدنـه سيـقى محفوظا إلى يوم القيـمة ، كما يـتوهم بعض الناس ، فـإن ذلك من تحمـيل القرآن ما لا يـحتمـل ، إذ لو كان المقصود بقاء جـسد فـرعون آية لـجميع الناس بـعده ، يـرونـه مـيتـا ويـعاـيـنـون جـثـته ، ليـقـيـت جـثـته مـعـروـفة ظـاهـرـة لـكـل " من خـلفـه " ، مـمن سـمع بـقـصـته ، حتـى تـتـم العـبـرة ، وـتـظـهـر الآـيـة ، وـيـصـدـق الـوـعـد ؛ فـأـيـن ذـهـبـت قـصـته عنـ النـاس ، حتـى عـفـا أـثـرـهـا ، وزـالـ ذـكـرـهـا قـرـونـا مـنـطـاـوـلـة ، قـبـلـ أـنـ يـدـعـي أـهـلـ الـأـثـارـ أـنـهـمـ اـكـتـشـفـوا جـثـةـ فـرـعـونـ الـذـيـ مـاتـ غـرـقا ؟؟!

يـقولـ الشـيـخـ صالحـ الفـوزـانـ حـفـظـهـ اللهـ : (لـتـكـونـ لـمـئـنـ خـلـفـكـ آـيـةـ) أـيـ : لـتـكـونـ لـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ موـتـكـ وـهـلـاكـ ، وـأـنـ اللهـ هوـ القـادـرـ الـذـيـ نـاصـيـةـ كـلـ دـاـبـةـ بـيـدـهـ ، لـاـ يـقـدـرـ أـحـدـ عـلـىـ التـخـلـصـ مـنـ عـقـوبـتـهـ ، وـلـوـ كـانـ ذـاـ شـلـطـةـ وـمـكـانـةـ بـيـنـ النـاسـ .

وـلـاـ يـلـزـمـ مـنـ هـذـاـ أـنـ تـبـقـيـ جـثـةـ فـرـعـونـ إـلـىـ هـذـاـ الزـمـانـ ، كـمـاـ يـظـنـهـ الـجـهـاـلـ ؛ لـأـنـ الغـرـضـ مـنـ إـظـهـارـ بـدـنـهـ مـنـ الـبـحـرـ مـعـرـفـةـ هـلاـكـهـ وـتـحـقـقـ ذلكـ لـمـنـ شـكـ فـيـهـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ ، وـهـذـاـ الغـرـضـ قـدـ اـنـتـهـىـ ، وـجـسـمـ فـرـعـونـ كـفـيرـهـ مـنـ الـأـجـسـامـ ، يـأـتـيـ عـلـيـهـ الـفـنـاءـ ، وـلـاـ يـبـقـىـ مـنـهـ إـلـاـ مـاـ يـبـقـىـ مـنـ غـيـرـهـ ، وـهـوـ عـجـبـ الـذـنـبـ ، الـذـيـ مـنـهـ يـرـكـبـ خـلـقـ الـإـنـسـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؛ كـمـاـ فـيـ الـحـدـيـثـ ؛ فـلـيـسـ لـجـسـمـ فـرـعـونـ مـيـزـةـ عـلـىـ غـيـرـهـ مـنـ الـأـجـسـامـ . وـالـلـهـ أـعـلـمـ) " المـنـتـقـىـ مـنـ فـتـاوـىـ الـفـوزـانـ " (1 / سـؤـالـ رقمـ 132ـ).

وـلـكـ يـقـالـ هـنـاـ : إـنـ حـصـلـ وـظـهـرـتـ جـثـةـ فـرـعـونـ مـنـ جـدـيدـ ، وـتـبـيـثـ بـكـلـامـ أـهـلـ الـخـبـرـةـ بـالـتـارـيخـ وـالـأـثـارـ أـنـهـاـ الـجـثـةـ الـتـيـ ذـكـرـ اللـهـ فـيـ كـتـابـهـ ، فـإـنـماـ يـكـونـ ذـكـرـ إـشـارـةـ إـلـىـ صـدـقـ مـاـ أـخـبـرـ بـهـ الـقـرـآنـ مـنـ نـجـاةـ بـدـنـ فـرـعـونـ .

يـقـولـ العـلـامـ الطـاهـرـ اـبـنـ عـاشـورـ رـحـمـهـ اللهـ : (وـمـنـ دـقـائقـ الـقـرـآنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : " فـأـلـيـومـ نـنـجـيـكـ بـيـدـنـكـ لـتـكـونـ لـمـئـنـ خـلـفـكـ آـيـةـ ") ، وـهـيـ عـبـارـةـ لـمـ يـأـتـ مـثـلـهـ فـيـهـ كـتـبـ مـنـ أـخـبـارـ فـرـعـونـ ؛ وـإـنـهـ لـمـ إـعـجـازـ الـعـلـمـيـ فـيـ الـقـرـآنـ ، إـذـ كـانـتـ آـيـةـ مـنـطـيقـةـ عـلـىـ الـوـاقـعـ الـتـارـيـخـيـ) التـحـرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ (2065ـ).

وـالـخـلاـصـةـ : أـنـ بـدـنـ فـرـعـونـ نـجـاـ يـوـمـهـاـ مـنـ الضـيـاعـ أوـ التـحلـلـ ، وـلـاـ يـعـنـيـ ذـلـكـ لـزـومـ بـقـائـهـ مـحـفـوظـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، فـمـنـ ثـبـتـ عـنـهـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـأـثـارـ وـالـتـارـيخـ أـنـ بـدـنـ فـرـعـونـ مـاـ زـالـ مـحـفـوظـاـ الـيـوـمـ ، وـهـوـ الـذـيـ يـعـرـضـ فـيـ بـعـضـ الـمـتـاحـفـ ، فـلـاـ يـجـوزـ أـنـ يـدـعـيـ أـنـ هـذـاـ الـحـفـظـ إـنـمـاـ هـوـ مـعـجـزةـ مـنـ اللـهـ لـلـنـاسـ جـمـيعـاـ ، وـإـنـمـاـ هـوـ فـقـطـ تـصـدـيقـ تـارـيـخـيـ جـاءـ موـافـقـةـ لـمـاـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، وـذـلـكـ هـوـ إـعـجـازـ .

وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ .